## الانتصارات المصنوعة

يصبح رابين بعد حرب ١٩٤٨ عسكرياً محترفاً في الجيش الاسرائيلي الذي يتم فيه دمج جميع الفرق، ومنها البلماح، وذلك بالحاح من بن – غوريون وكبار قادة حزب العمل والأحزاب الاخرى. وفي الفترة التي تمتد حتى حرب قناة السويس في سنة ١٩٥٦، ومنها إلى حرب حزيران (يونيو) في سنة ١٩٦٧، يتدرج رابين في الرتب حتى يصل إلى رتبة عقيد قائد وحدة ثم جنرال معاون لرئيس الأركان، ثم رئيساً للأركان. وهنا يتوقف الكاتب في فصول عدة عن الحربين، بوصفهما محطتين رئيسيتين عبر المسيرة الصاعدة لاسرائيل، فيكشف لنا، بعمق، مفهوم القادة الاسرائيليين لمسألتي السلم والحرب. وفي كل الرؤى التي يطرحها رابين، خلال هذه الفترة، يبدو أكثر التصاقاً بنهج بن – غوريون الذي يقضي بألا تكون اسرائيل وحدها في أية مواجهة مع الدول العربية، بل أن تكون دول غربية كبرى إلى جانبها، سواء بالعتاد والرجال أم بمختلف وسائل المساندة، كتقديم السلاح والمعلومات وممارسة الضغط على الجانب العربي. وهذا النهج يرتكز على فكرة قوامها العمل دائماً على اقناع الحلفاء الغربيين، لا سيما اميركا، بأن اسرائيل تخوض معركتهم على ساحة الشرق الأوسط، اما لحماية مصالحهم وإما للوقوف في وجه امتداد النفوذ السوفياتي... إنها فكرة الدولة – الشرطي، التي كانت في أساس مساعدة الغرب للصهيونية على انجاح المشروع الاسرائيلي. ومع حرص القادة الاسرائيليين على الظهور بمظهر المستقل في القرار، فهم لا يبدون كذلك من خلال سلسلة الوقائع التي يوردها رابين. فهو، وإن كان لا يتوقف طويلاً عند مقدمات واحداث حرب ١٩٥٦، أذ لم يكن يومها في موقع القرار، فالصور التي يقدمها لنا تكفي لكي نفهم بأن اسرائيل وجدت في ردود الفعل الفرنسية – البريطانية على تأميم مصر لقناة السويس فرصتها السانحة التي لا تعوض لتطبيق النهج البنغوريوني على أكمل وجه.

أما بالنسبة لحرب ١٩٦٧، فيحاول الكاتب أن يقول أن اسرائيل وإن كانت تفتقد فيها قيادة بن–غوريون (كان ليفي اشكول في رئاسة الوزارة)؛ إلا أنها لم تعدم القيادة العسكرية المتنبهة والكفؤة. وهو إذ يشير إلى المفارقات بين شخص بن – غوريون واشكول، من حيث أن الأول «يفهم على الطاير» بينما الثاني يحتاج إلى أدق التفاصيل، يركز على الدور الذي قام به هو، كرئيس للأركان، إلى جانب كبار معاونيه، في عملية الوصول إلى توجيه الضربة الأسبق ضد الجيش المصري. هنا المسألة تدور كلها على سباق مع الزمن... أي مع العشرين يوماً التي كانت تفصل بين قيام الرئيس عبدالناصر بتحريك الجيش المصري إلى سيناء بعد طلب انسحاب القوات الدولية، وبين بدء العمليات من الجانب الاسرائيلي. ومن خلال التفاصيل الكثيرة التي يوردها الكاتب عن اللقاءات والمشاورات (وقد كانت يومية تقريباً) بين القادة الاسرائيليين والأميركيين، كانت اسرائيل تلحّ على أن تقوم هي بالضربة الاولى، وذلك للأسباب التالية:

– استغلال المعلومات الأميركية عن واقع الجبهتين المصرية والسورية، من حيث ضعف التنسيق، وكون القيادة السورية (حكم صلاح جديد ونور الدين الأتاسي) تسعى لدفع الرئيس عبدالناصر إلى مزيد من الحرج.

– الضغط الأميركي المتواصل على مصر لمنعها من توجيه الضربة الاولى، والذي بلغ حد الاعلان الرسمي عن «إن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدي».

– المعلومات الأميركية الكثيفة عن تحرك الجيش المصري، والتي كانت تجمعها طائرات وسفن التجسس.

ولا يخفي رابين أن الضربة ضد المطارات المصرية صباح ٥ حزيران (يونيو) كانت باشارة اميركية، وهو يعترف صراحة أن النتائج كانت قد تبدلت لو جاءت الضربة الاولى من القوات المصرية. حتى أن كل التفاصيل التي يوردها في هذا الصدد توحي بأن النصر الاسرائيلي مصنوع تماماً وان ماركته واضحة وضوح ماركة سجاير «المارلبورو».